ملخص البحث

لا شك أن المراد من التفسير الموضوعي يكمن في التجارب البشرية وكلما كانت هذهِ التجارب أكثر كان التفسير أغنى وأثرى. إنَ التفسير الموضوعي يركز نظرهِ على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية ويستوعب ما أثارتهُ تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل ليأتي ويجلس بين يدي القرآن الكريم لذلك جاءت أهمية الوحدة الموضوعية ويقصد بما تعدد الموضوعات فضلاً عن تماسك وترابط أجزاء الآيات القرآنية بعضها ببعض ويعبر عنها بالوحدة العضوية من هنا قسمتُ بحثي إلى مبحثين ولكل مبحث ثلاثة مطالب، جاء المبحث الأول بعنوان مفهوم الوحدة الموضوعية حيث تناول المطلب الأول: تعريف الوحدة الموضوعية ويعقبها المطلب الثاني بعنوان: آراء العلماء في اثبات ونفي الوحدة الموضوعية ثم خُتِمَ المبحث بالمطلب الثالث بعنوان: التطبيقات على الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم أما المبحث الثاني يتضمن ثلاثة مطالب جاء المطلب الأول بعنوان : تعريف الوحدة العضوية ثم تناول المطلب الثاني: كيفية استبدال الوحدة الموضوعية بالوحدة العضوية ثم المطلب الثالث بعنوان: تطبيقات على الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية في القرآن الكريم . كما تطرق البحث الى ابراز أهم وجوه الاعجاز القرآني للوحدتين العضوية والموضوعية وسنرى ذلك من خلال ثنايا البحث فضلاً عن مقدمة وخاتمة ونتائج وقائمة بالمصادر والمراجع الأولية.

" التفسير الموضوعي بين الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية كجزء من متطلبات الترقية العلمية"

م.د. عدنان شنشول جبر الخالدي

جامعة الإمام الصادق فرع المثنى

adnan sh-1959@gmail.com

Abstract

There is no doubt that what is meant by objective explanation lies in human experiences, and the more of these experiences, the richer and richer the explanation. Therefore, the importance of objective unity came, meaning the multiplicity of topics as well as the coherence and interconnection of the parts of the Quranic verses with each other and expressed by organic unity from here, I divided my research into two researchers, and each research has three demands, the first research came

entitled The concept of objective unity, where the first requirement dealt with : the definition of objective unity, followed by the second requirement entitled : opinions scientists in proving and denying the objective unity and then concluded the research with the third requirement entitled: The first requirement was entitled: The definition of organic unity, then the second requirement was dealt with: how to replace the objective unity with the organic unity, and then the third requirement was entitled: Applications to the objective unity and organic unity in the Holy Quran . The research also touched upon highlighting the most important aspects of the Quranic miracle of the two organic and objective units, and we will see this through the research as well as an introduction, conclusion, results and a list of primary sources and references.

مقدمة

الدارس للقرآن الكريم يرى أن السورة القرآنية تمثل وحدة متكاملة في مضمونها بحيث تعالج الهدف الذي نزلت من أجله علاجاً واضحاً، وهي مع ذلك ترتبط بالسورة التي قبلها بالمصحف ارتباط الجار الكريم بجاره الملاحق له، بحيث لو رفعنا الفاصل بين السورتين وهو البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)، لوجدنا وحدة بين السورتين كاملة فضلاً عن الإرتباط لكبير الذي بين آيات الموضوع الواحد في كل القرآن فبين آيات السورة انسجام وبين السورة والسورة المجاورة لها ارتباط ، وبين آيات الموضوع الواحد كالجهاد والصلاة والمواعظ تكامل وهذه هي الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية ولكل بحث علمي لابد من منهجية علمية لذا اعتمدتُ في كتابة بحثي على المنهج التحليلي الوصفي وقد قسمتُ بحثي الى مبحثين ولكل مبحث ثلاثة مطالب ، وقد جاء المبحث الأول بعنوان : مفهوم الوحدة الموضوعية وتضمنَ ثلاثة مطالب، المطلب الأول تحدث عن تعريف الوحدة الموضوعية والمطلب الثاني تحدث عن آراء العلماء في الثبات ونفى الوحدة الموضوعية فيما ختمت المبحث الأول بما جاء في المطلب الثالث وهو تطبيقات على الوحدة الموضوعية أما المبحث الثاني تحدث عن الوحدة العضوية وتضمن ثلاثة مطالب تناول المطلب الأول تعريف الوحدة العضوية كما تطرق المطلب الثاني الى كيفية استبدال الوحدة الموضوعية

بالوحدة العضوية وتناول المطلب الثالث تطبيقات على الوحدتين الموضوعية والعضوية كما تضمن البحث خاتمة ونتائج وكذلك قائمة بأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

درج كثير من منظري منهج التفسير الموضوعي على القول بأن كل سورة قرآنية تنظمها وحدة موضوعية راسخة، وما دامت هناك وحدة موضوعية لكل سورة فتناول السورة يعني دراسة موضوع قرآني وذلك يجعل من دراسة السورة ما ينطوي تحت طي (التفسير الموضوعي) لا (الموضعي)[١] .

وهذا الدليل والقاعدة الذي تم تأسس الفكرة عليه غير مسلم عند البعض، لأنهم يتسألون : ما معنى (الوحدة الموضوعية) للسورة القرآنية ؟

١- هل المقصود أنَّ السورة تتلائم آياتها وتترابط كترابط أعضاء البدن ، منتجة حلاً منسجماً ؟

٢- هل المقصود أن السورة تتناول موضوعاً تفصيلياً متكاملاً لجميع المفردات والمباحث التي ترد فيها ، كما لو تحدثت عن سورة (العلم، التقوى، المعاد) بحيث تغني دراسة السورة عن دراسة ذلك في الآيات والسور الأخرى؟ الجواب على الفقرة الأولى: فترابط الآيات وتلاحمها يدل على (الوحدة العضوية) لكنهُ لا يدل بالضرورة على أن السورة تتناول موضوعاً واحداً، فلا يثبت (الوحدة الموضوعية).

أما الجواب على الفقرة الثانية: فليس هناك سورة مخصصة علمياً ضمن حقول، بل قد تتحدث السورة عن أكثر من موضوع، لاسيما السور الطوال[٢].

المطلب الأول: تعريف الوحدة الموضوعية

المقصود بالوحدة الموضوعية للسور عند أهل الدراسات القرآنية أنَّ لكل سورة من سور القرآن لها وحدة معنوية وموضوع تدور عليه وبعبارة أخرى وحدة الموضوعات التي تعالجها القرآن الكريم في السورة وترابطها حتى تكون كالجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة. وهي من جزئيات التفسير الموضوعي. وقد وردَّ تعريف الوحدة الموضوعية في معجم المصطلحات العربية، بأن الوحدة الموضوعية هي تشابك آيات السورة ينتج موضوعاً جديداً متكاملاً لها، وتقاطعهُ مع الموضوعات الأخرى، إنما يتم بقدر ما يخدم الموضوع الأصلي فحسب، لا بما يسد عن جميع الموضوعات التفصيلية الأخرى في القرآن الكريم[٣]. فالوحدة كون الشيء لا ينقسم، ويراد به عدم التجزئة والإنقسام[٤] .

والوحدة الموضوعية كمركب لفظي: تعني أن للسورة الواحدة في القرآن الكريم موضوعاً منفرداً، وهو في الوقت ذاته مجموعة من المحاور مجتمعة تشكل ذلك الموضوع الذي يسمى موضوع السورة[٥]. ويقول الشاطبي (ت: ٨٩١هـ) في الموافقات وهو يتحدث عن النظم وفوائده : باعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها غير مقيد للمقصود منها[٦].

وما يزيد هذا المعنى وضوحاً قول الدكتور: مصطفى مسلم، حيث يتحدث عن طريق تناول التفسير الموضوعي، إذ يُعبر البحث عن موضوع السورة، وتتبعها لوناً من الوان التفسير الموضوعي ، إذ يقول : وكما أن الهدايات تجتمع في القرآن الكريم بتمامهِ، فإنّ هذهِ الهديات مثبتة، فنجد كل سورة وحدة تجتمع حولها آياتها وإن تعددت موضوعاتها، ويحس فيها روحاً تسري بين أجزائها ووشائج تربط بينها ومقصداً يجمعها .... وهذا النوع من الدراسة هو الذي يميز تتناول التفسير الموضوعي للموضوعات القرآنية فدائرتهُ تحبط السورة القرآنية الواحدة، وتنجلي مهمة الباحث في الكشف عن الهدف الجامع الذي تدور حولهُ السورة وطريقته: أن يستوعب الباحث أو المفسر أهداف السورة المنبثة في أسباب نزولها ، وترتيبها ، ومكيها، ومدينها، وأسمائها وعدد آياتها، ومقاصدها الفرعية، وأساليب عرضها، والمناسبات بين مقاطعها[٧].

فالسور في مجملها، كلّ لا تنفصم عراه، وطائفة ملتئمة من الآيات لا تحتمل التقطيع، وإنما النظر يكون في كلها، واستيفاء معانيها بتمامها[٨]. وكل هذا يعتمد على أوجه المناسبة بين أجزاء السورة الواحدة متكاملة مترابطة في سياقها وأفكارها ، إذ تشكل موضوعاً مستقلاً بذاتهِ، مما يجعلها تفرض جواً خاصاً بها، وأن تكرار القصة القرآنية الغاية منهُ أن تكون القصة في كل موضوع شاهد على فكرة وعبرة معينة. تنسجم مع الموضوع الذي سيقت له السورة.

حقيقة الوحدة الموضوعية

ما لاشكَ فيه أنْ أوجه إعجاز القرآن الكريم متعددة ومتنوعة فكما أنه عجزَ ببيانهُ وأسلوبهُ وطريقة ترتيب آياته وسوره وأحكامه فهو معجز أيضاً في طريقة وأسلوب تناول وعرض القضايا التي يحتاجها الناس في حياتهم، وأنهُ معجز عن إنبائهِ عن الماضي، وأخباره عن المستقبل وعن الغيب، ومعجز في ترابط سوره وآياته ومعانيه وفي ألفاظهِ وحروفه، فهو يعطي عن كل موضوع

صورة متكاملة تامة على الرغم من معالجته في أكثر من موضوع وأكثر من سورة ، قال تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [٩]. النساء: ٢٨

وأن جمع القرآن الكريم لموضوعات عدة تصبُ في محور واحد، تؤدي الى هدف واحد في سورةٍ واحدة ، لأمر عجيب ومعجز حقاً إذ هو يلائم بين موضوعات قد تبدو مختلفة ولكنها بصياغة خاصة تترابط في السورة وبصياغة أخرى تترابط مع موضوعات أخرى في سورة أخرى بحيث لا يستطيع بشر أن يفعل ذلك وهذا واضح في القصص القرآني، إذ القصة الواحدة واردة في أكثر من سورة، ولكنها تختلف في سورة منهُ عنها في أخرى لموضوع السورة العام وغرضها الذي يؤدي إليه ، ومما يزيدنا يقيناً أن القرآن الكريم من عند الإله الحكيم العليم، عندما نلاحظ أن موضوعات السورة الواحدة قد تباعد زمن نزولها[١٠].

وحينما يتأمل المتدبر في القرآن الكريم يرى ذلك التناسق والترابط العميق بين آياته ، تنجلي فيه عظمة الله تعالى وحكمتهُ البالغة، وتتضح لنا حقيقة الوحدة الموضوعية في أنها وجه من أوجه الترابط بين أجزاء وآيات السورة الواحدة ، وتألف معانيها لتشكّل موضوعاً واحداً، هو موضوع السورة ونوعاً من أنواع المناسبات[١١]. التي أعجزت أساطين العرب واللغويين عن محاكاة هذا الكلام المترابط المتين، وهذا مما يؤكد أن القرآن الكريم ليس بكلام البشر، وقادر بالرد على الملحدين والمستشرقين وافتراءاتهم.

ويذكر برهان الدين البقاعي عن هذا الترابط وعلاقته بالوحدة الموضوعية في السورة القرآنية الواحدة ، فيقول : فعلمُ مناسبات القرآن علم تصرف منهُ علل ترتيب أجزاءه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيه[١٢].

ويقول في موضع آخر : إن من عرف المراد من اسم السورة ، عرف مقصودها ومنْ حقق المقصود منها عرف تناسب آياتها وقصصها وجميع أجزاءها.. فإن كل سورة لها مقصداً واحداً، يستدل عليه فيها، فتترتب المقدمات الدالة عليه على أكمل وجه وأبدع منهج.

ويعبر السيوطي عن هذا المعنى بشكل دقيق للغاية بكلام يحتاج منا الوقوف عندهُ والتأمل فيه.

فيقول : ومعرفة الأمر الكلي المفيد لعلم المناسبات في جميع القرآن هو أنك تنظر الفرض الذي سبقت له السورة ، وتنظر ما يحتاجهُ ذلك الفرض من المقدمات الى ما يستتبعهُ من استشراق

نفس السامع إلى الأحكام واللوازم النابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل يدفع عناء الاستشراق الى الوقوف عليها ولهذا يتبين له وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية من كل سورة(١٣).

وإذا كان التفسير الموضوعي علماً يتخذ الموضوعات الظاهرة أساساً من منهج القرآن الكريم وأسلوبهُ في معالجته لها، متخذاً من القواعد والشروط المراعاة في التفسير سلماً للوصول الى هدي الكتاب الكريم(١٤).

وإذا كان التفسير الموضوعي منهجاً يتخذه المفسر سبيلاً للكشف عن مراد الله تعالى عن طريق الموضوعات التي يطرحها، والقضايا التي يعالجها توضيحاً لهداية القرآن الكريم وتجلية لوجوه إعجازه ، فلا أولَ ولا أجلَ من الوحدة الموضوعية للسورة على نجاعة هذا المنهج في الوصول الى تجلية المعنى والوقوف على موضوعات القرآن الكريم وهدايته وإنْ كانت للوحدة الموضوعية علاقة بالنظم والشكل البنيوي للقرآن الكريم فإنه لايتم التحقق من هذا الأمر إلا بالكشف وبراعة ذلك النظم وتلك البيئة الموضوعية عن طريق السورة الواحدة التي يبدو أحياناً أن لها مقاصد شتى وأفكاراً عدة مختلفة متباعدة ، والحقيقة عكس ذلك تماماً، إذ الناظر فيها والمدقق لها يرى الكم من الأفكار وذلك التناسق في العبارات والألفاظ وذلك التوافق والتناغم في الفواصل والموسيقى من بداية السورة حتى نهايتها.

وكيف يقلب العجز على الصدر حتى تبدو تلك الأفكار متزاحمة تصب جميعها في قالب واحد يمثل موضوع السورة. وإن كان للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية كل ذلك العذر في التوصل الى فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً فإن لهذا المنهج في التفسير أهمية كبرى لا ينبغي الاستهانة بها، وذلك باتخاذ هذا المنهج طريقاً لفهم المعنى الدقيق لسور القرآن الكريم في شكله الكلي، حيث يساعد هذا الفهم على وضع اليد على المعنى والمقصود الذي ترمي إليه السورة ولا يترك مجالاً للتخبط والحيرة في ترجيح معنى على آخر، بل يكسب المعنى قناعة تامة في المعنى الذي يختاره والذي يخدم مقصد السورة ككل.

وحين نقول بالوحدة الموضوعية للسورة، إنما نريد القول: إنها تحتوي على موضوع كامل، قد يكون دقيقاً جداً، لكن ذاك الذي لا يستدعي في حديثها عن مجموع موضوعات الكلمات التي ترد فيها، وإنما تتعامل معها بما يصب في رافد الموضوع الإساس. ويبدو أن الذين أنكروا الوحدة الموضوعية في السورة لم يلتفتوا إلى هذا التفريق فضلاً عن أنهم يوزعون مجاميع الآيات على

مقاطع يدرسونها تفصيلاً لكنهم لا يتعمقون في البحث عن الرابط بين تلك المقاطع، والرابط الذي حوَّل الولوج لما ظنوه نقلهُ في السورة الى موضوعات متباعدة ، ومن ثم ظنوا بأن السورة القرآنية تتحدث عن موضوعات شتى.

المطلب الثاني: آراء العلماء حول نفي الوحدة الموضوعية وإثباتها

أولاً: ذهب البعض الى عدم وجود الوحدة الموضوعية في كثير من سور القرآن الكريم لا سيما السور الطوال، فهي تحمل موضوعات متباعدة جمعت في سورة واحدة ، مما استدلوا به على نفي الوحدة الموضوعية

ما يلي :

أ – النزول التدريجي المُنجم للقرآن الكريم:

ذهب العلماء إلى نزول القرآن الكريم تدريجياً في نّيف وعشرين سنة بحسب الحاجة إلى نزوله أي نزوله منجماً لأسباب وأحكام تختلف الحاجة إليها، وهذا النزول التدريجي جعل العلماء ينفون الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم . قال الشيخ عز الدين عبد السلام : إن القرآن الكريم نزل في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، ما كان ذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض؟ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقهِ وأحكامهِ بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب، كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان في نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة ، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض، مع اختلافها في نفسها وأختلاف أوقاتها[١٥]. لذا فيستبعد بعض العلماء عدم وجود الوحدة الموضوعية في السورة من حيث الأصل كما في قول الدكتور زيد عمر العيص: معلقاً على هذا النص : "يُفهم من كلام القرآن إنه يستبعد من حيث الأصل الوحدة الموضوعية في السورة"[١٦]. وهذا النص مسوق لنفي الوحدة العضوية لا الموضوعية لكن نفي الوحدة العضوية بما يعنيه من عدم ترابط الأجزاء ، يقتضي نفي الوحدة الموضوعية ، وإنْ كان اثبات الوحدة العضوية لا يثبت الوحدة الموضوعية، بينما اثبات الوحدة الموضوعية يثبت الوحدة العضوية، لأن الكلام حين يكون بأجمعهِ في موضوع واحد فذاك يثبت بالضرورة إنه مترابط متواصل[١٧] .

أما رأي الدكتور : فهد الرومي، في معرض تقرير رأي أصحاب المدرسة العقلية في التفسير : "وإثبات الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية بصورة جلّية يثبت ارتباط الآية بعضها ببعض، فتناسق آياتها وتتلاحم حتى تكون كالسبيكة الواحدة"[١٨].

ب- تحديد موضوعات السور أمر اجتهادي:

يرى هؤلاء النافون للوحدة الموضوعية : "إن دراسة السورة دراسة موضوعية يتوقف على تحديد موضوعها (العنوان، الإطار العام) الذي يشكل المحور الذي ترتكز عليه أفكارها وتحديد الموضوعات (العنوانات) للسور بوصفها موضوع السورة القرآنية أمر اجتهادي تخميني ظني، يقوم به الباحث والمفسر، فهو من يجعل للسورة الكريمة هدفاً ينتزعهُ من ملاحظة معانيها ثم ينزّل الآيات المتعددة في السورة لتحقيق هذا الهدف[١٩].

وذلك الأمر الإجتهادي لا يمنع من بروز اجتهادي مقابل ومخالف يرى أن موضوع السورة شيء آخر مختلف!! وذلك ما تشهدهُ في تحديد موضوع السورة عند المفسرين الذين يحرصون على تلخيص موضوع تتكلم السورة عنهُ، فهم جدٌ مختلفين في تحديد الموضوع أو العنوان أو المحور العام أو السياق العام الذي تدور حولهُ السورة ، هذا إذ لم يغير المفسر نفسهُ وآية في موضوع السورة ومحورها[٢٠]. وقد استعرض الدكتور: زياد الدغامين آراء عشرة مفسرين اكثرهم من المعاصرين، وذكر الإطار العام الذي أتاه كل منهم سورة الحجر، ورأى في أموالهم تبايناً مشهوداً ثم عقَّب على ذلك بقوله : (الناظر في هذه الأقوال جميعاً يسعه أن يذكر ما يسمى بـ(الوحدة الموضوعية) في سور القرآن الكريم ، نظراً لتباين هذه الأقوال وتباعدها وطريقة تقسيمها[٢١].

آراء العلماء حول إثبات الوحدة الموضوعية:

ثانياً: ورأى آخرون أن السورة القرآنية الواحدة، قصيرة كانت أم طويلة تدور حول موضوع واحد ، تندرج جميع آياتها فيه ، ويجمع آياتها إطار واحد وجامع مع مشترك موَّحد (محور عام وسياق عام) تتوزع مقاطعها على موضوعات جزئية متفرعة منه، مما يستدعي قراءة السورة بعناية لاكتشافه والتعرف عليه وبذلك يكون بينها (وحدة موضوعية) سُمّيت ايضاً بالوحدة المحورية فضلاً عن وجود الوحدة العضوية فيها ، وقد استدلوا على ذلك بما يلي :

أ- الشتات الموضوعي أمر مستهجن:

الشتات الموضوعي اتكاء الكلام على انتقالات فجائية من موضوع إلى موضوع آخر، وذاك يحدث في ذهن المتلقي حالة من التشوش الذهني والنفسي.

والتفكير العميق في آيات السورة يقضي أنها تتناول موضوعاً واحداً، وأن الكلام المفرَّق الذي لا ينظمهُ إطار واحد أمر مستهجن عند العقلاء[٢٢].

ب- توزيع الآيات في السور وفق وحدة الموضوع:

الوحي إنما أمر النبي (ص) بإعادة توزيع الآيات حسب السور، لأنه جمع رُوعي فيه كون آيات السورة تدور حول موضوع واحد، لذلك جاء الأمر الإلهي بتدوينها بهذه الطريقة لا حسب ترتيبها التاريخي الذي تعددت فيه الأزمات والأماكن والأحداث(٢٣).

المطلب الثالث: تطبيقات حول وجود الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية

لاشك أن الوحدة الموضوعية هي من جزئيات منهج التفسير الموضوعي ومن الأمثلة القرآنية على وجود الوحدة الموضوعية داخل السورة القرآنية: جاء في قوله تعالى في سورة الممتحنة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)(٢٤). وختمت بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) (٢٥). وهذه السور تدور حول الوحدة الموضوعية حول البراءة من اعداء الله وموالاتهم وكذلك في سورة الحشر، جاء في قوله تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٢٦) وختمت بقوله تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٢٧). وهنا الوحدة الموضوعية تدور حول التسبيح لله تعالى . وفي سورة المؤمنون جاء في قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) (٢٨) وختمت بقوله تعالى : (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (٢٩) وهنا الوحدة الموضوعية تدور حول صفات المؤمنين المفلحين وأوصاف الكافرين الخائنين. ثم تكررت الآيات في بعض السور مثل (المرسلات) (الرحمن) (هود) (القمر) مثل : (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) و (ويلٌ للمكذبين) (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) تكرار هذه الآيات رغم أنها تتطرق الى معانٍ مختلفة من غرض الى غرض آخر لكن هذا التكرار يدل على وحدة الموضوع الذي تدور حولهُ السورة والهدف العام.

وعندما فسَّر فخر الدين الرازي قوله تعالى : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) (٣٠). ربطهُ بقوله تعالى : وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) (٣١).

ويقول: (إذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السورة (فصلت) من أولها الى آخرها كلاماً واحداً منتظماً مسوقاً نحو غرض واحد ما[٣٢].

وهذه هي الوحدة الموضوعية في السورة. وعندما تحدث أبو اسحاق الشاطبي عن أن للنظر في الآيات القرآنية اعتبارين:

أحدهما: باعتبار تعدد القضايا فيها، وثانيها: باعتبار النظم والترتيب التوقيفي الذي عليه السور في المصحف، قال : ((وجميع ذلك لا بد فيه من النظر في أول الكلام وآخرِهِ بحسب تلك الاعتبارات:

فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتم إلاّ بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه، غير مفيد غاية المقصود، كما أنَ الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما... لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها، فسورة البقرة – مثلاً – كلام واحد باعتبار النظم واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بُث فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك[٣٣].

المبحث الثاني: مفهوم الوحدة العضوية

المطلب الأول: تعريف الوحدة العضوية

هي عبارة عن ترابط منطقي أو جمالي أو قصصي بين أجزاء الآيات القرآنية، أي المتكونة من أجزاء مترابطة لا تتجزأ. والأصل في الوحدة العضوية مأخوذة من التعضية حيث جاء في قوله تعالى: (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)[٣٤]. فكأن منْ استعملوا هذا التعبير وجدوه مشاراً إليه في هذه الآية الكريمة وتمثل الوحدة العضوية أبهى مظاهر الإعجاز القرآني الذي لا يمكن أن يأتي لبشرٍ مهما بلغت قدراته الإبداعية، بالإضافة الى التماثل العجيب في استعمال اللفظ القرآني أو هناك تماثل في الجذور واختلاف في الإفراد والجمع من آية الى أخرى بحسب استعمال العرب، وتمثل الوحدة العضوية بمثابة الوحدة البنائية للقرآن الكريم الذي قد أحكمت آياتهِ أحكام البناء القوي المتين، فلا يخترق ولا ينظر إليه نظرة تجزيئية[٣٥]. ويمكن الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ) [٣٦]. (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [٣٧]. إن الظاهر البياني لكل سورة من سور القرآن،

ظاهر متعدد موضوعياً وإنْ كان واحداً عضوياً. فالوحدة العضوية الكائنة في السورة ولكن تلك الوحدة العضوية قائمة على أرضية التعدد الموضوعي. ومن هنا فإن موضوعاً بعينه وليكن موضوع الكيل والميزان في سورة هود مثلاً. بدليل قوله تعالى: (والى مدين أخاهم شعيباً...) [٣٨]. غير بيانه في سورة المطففين (ويلٌ للمطففين...)[٣٩]. التي جاء البيان بها مركزياً .

بل إنَّ موضوعات السورة جميعاً تختلف عضوياً عن سورة هود بلحاظ مركزية موضوع (الكيل) ومحوريتهُ ومجيئوه في سورة هود بوصفه مكوناً من مكونات السرد القصصي والتأريخي، الذي ترتكز عليه السورة، فآيات الكيل في سورة هود إبانة من إبانات الآيات الأخرى في السورة أكثر مما هي إبانة رئيسية في سورة المطففين ويترتب على ما سبق أن محاولة التفسير الموضوعي رصد الموضوع الواحد الذي توالى بيانه في مواضع متعددة من القرآن الكريم، ثم استلال ذلك الموضوع[٤٠].

المطلب الثاني: كيفية استبدال الوحدة العضوية بالوحدة الموضوعية للنص القرآني

إنَّ محاولة التفسير الموضوعي تعين الموضوع الواحد الذي تعدد بيانه في مواضع متعددة من القرآن الكريم، ثم استلال ذلك الموضوع من المواضيع كلها، ومن بعد توحيد الآيات التي أبانت عن الموضوع مع غض النظر عن المناخ النصي لتلك الآيات في سورها التي استلت فيها، يعني استبدال الوحدة الموضوعية بالوحدة العضوية للنص القرآني، وهذا مطلبه يستلزم الكثير من التفكير بهذه الطريقة، أو تلك من طرائق القرآن الكريم في الإبانة عن الموضوع الواحد لسانياً، وذلك لأن الاختلاف في البيان القرآني، ليس اختلافاً عن عجز أو غفلة أو قصور في الحكمة والإعجاز، فنمر عليه مرور الكرام، وإنما اختلافه البياني مظهر تنوع دال على امتلاك الموضوع القرآني أبعاد مختلفة، تدعونا، مما تدعون إليه، إلى الحكم للمفسِّر، أو عليه في ضوء قدرته على رصد اكثر ما يمكن من زوايا الموضوع وأبعاده، رصداً يستوفي الموضوع وضوحاً وانكشافاً، وبما يحقق الإبانة بلازم رئيسي ومهم من لوازم إقامة الموضوع واستقامته منهجياً، بوصفه موئلاً للبحث والدروس والاستدلال[٤١].

ولا شك أن القرآن الكريم، متماسك تماسك بنيان مرصوص ويترتب على تماسكه هذا أن طلب تحقق العلم بوصفهِ شرعةً ومنهاجاً، يوجب على الطالب أن يلتزم بمنهاجيته، وأن يخضع لمنطقة، أقصد منطق البنيان المرصوص، ولعل من أساسيات ذلك الالتزام والإخلاص، عدم جعل القرآن

عضين، أي عدم تقطيع أوصاله البيانية، فالوحدة العضوية كائنة في السورة ولكن على أرضية التعدد الموضوعي ومن هنا يتضح ارتباط الوحدة الموضوعية بالوحدة العضوية وعدم استقلال أي وحدة بدلاً عن الأخرى.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية للوحدة الموضوعية والوحدة العضوية في القرآن الكريم

ما تحدثت به سورة الواقعة في بعض آياتها، ومنها المنكرون للبعث حيث أن الله تعالى يسوق أدلة واضحة على البعث مستخدماً عناصر الطبيعة المعلومة لدى الجميع وهي: اولاً : الجنين وكيف أن الله تعالى يكونه في بطن أم دون تدخل أحد. جاء في قوله تعالى: (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ...) [٤٢] الواقعة ٥٧-٦٢.

ثانياً: الزرع : وكيف أن الله تعالى له اليد العليا بأن ترعاه فتغذيه وتحافظ عليه. جاء في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ...) [٤٣] الواقعة ٦٣-٦٤.

ثالثاً: الماء: وكيف أن الله تعالى يسوقه الى البلد الميت وينزله غيثاً. جاء في قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ) [٤٤] الواقعة ٦٨-٧٠ .

رابعاً: النار: ومظهر قدرة الله تعالى – جاء في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ...) [٤٥] الواقعة ٧١-٧٣. ومن الظريف نرى بعض المنكرين لوجود الله تعالى يقسم في حديثه بالله العظيم !!!! ثم يتكلم من القرآن عن الروح مظهراً ضعف الدنيا أمام سرها العجيب (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ...) [٤٦] الواقعة ٨٣-٨٧.

وعجز الناس عن عودة الروح الى الجسد كافٍ في اثبات البعث والجزاء، ثم تأتي الخاتمة وهي ترد العجز الى الصدر وتقسم الناس إلى ثلاثة اقسام ، والذي اطمئن له ويتفق مع فهمي للقرآن أن نهاية السورة لا تكرر أولها، لأن القرآن لا تكرار فيه إلا للفائدة، فكيف نفهم خاتمة السورة بعيداً عن التكرار؟ نلاحظ أن أول السورة قسم الناس الى (أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقين) هذا التقسيم جاء بعد نهاية الدنيا فهو بيان لدرجات الناس في الآخرة.

أما آخر السورة في قوله تعالى: (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ ...) [٤٧] الواقعة ٨٨-٩٤. فيأتي بعد بيان نهاية الإنسان.

أذن آخر السورة تقسم الناس في القبر إلى الأقسام الثلاثة اصحاب يمين، واصحاب شمال، ومقربين، فصدر السورة يتحدث عن الآخرة وآخر السورة يتحدث عن جزاء القبر، وبذلك فلا تكرار. لذا فإن القرآن وحدة متكاملة وآياته متماسكة وهذا يعبر عن الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية، اي وحدة الموضوع هو المعاد وتماسك أجزاء الآيات وترابطها، هو الوحدة العضوية. وعليه فإن التفسير الموضوعي معطى من معطيات النص نفسه، وأثره واضح، بلحاظ توفر الشروط المناسبة لظهور ذلك الأثر وهو أثر النص في توجيه الملاحظة البشرية هذه وجهة، أما أثر الملاحظة البشرية المتمثلة بالتفسير الموضوعي في النص، فيتضح من خلال جعل النص يكشف معناه بهذه الطريقة بعد كشفهِ لمعناه بطريقة سابقة وليس مرد القصور في المنجز المعرفي لهذه الطريقة أو تلك القصور في المؤثر، وإنما هي عدم قدرة الوسط المتأثر في استنبات الأثر استنباتاً ذهنياً صحيحاً، وتأسيساً على ما سبق نجد هناك علاقة بنائية كاملة بين النص والتفسير الموضوعي وهي التي تجعل من التفسير الموضوعي منهجاً لأن ارتباط القرآن الكريم بالتفسير الموضوعي هو ارتباط المعلول بعلته ولا عله له غيرها، بلحاظ، اصالة العلة وأولياتها مناهجياً.

الخاتمة والنتائج:

أولاً: لا شك أن القرآن الكريم، متماسك بنيان مرصوص، يترتب على تماسكه البديهي هذا، أن طلب تحقق العلم بواسطة شرعةً ومنهاجاً، يوجب على الطالب أن يلتزم بمنهاجيته وأن يخضع لمنطقة ولعل من أساسيات ذلك الالتزام والإخلاص هو عدم جعل القرآن عضين أي عدم تقطيع أوصالهِ البيانية، طمعاً بالحصول على بعض علم عن طريق موضوعاته.

ثانياً: إن الضابط المنهجي للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم يكمن في اجراء علاقات مترابطة بين الآية والآية، تعمل على صناعة أزواج مرتبطة غايتها استظهار المعمول المعنوي وليد الملاقاة بين الآيات. موضوعياً تسنناً بقوله تعالى : (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات: ٤٩). وانسجاماً مع التسمية الرئيسة للنص الكريم (القرآن) التي تستند أصالة إلى معنى الجمع والضم.

ثالثاً: مراعاة التلازم العلمي بين طريقة ملاحظة النص الكريم والطبيعة النصية للنص، تلك القائمة على أساس الجمع بين المتباعدات وتوحيدها، عضوياً مرة، وموضوعياً مرة أخرى، فيرتب على ذلك لزوم تحلي المفسّر بالطبيعة الترابطية في الفهم والتفهم.

رابعاً: اتباع إرادة القرآن الكريم، خاصة تلك المتمثلة بطبيعته البنائية وبنيانه النصي وأجواءه المعنوية الخاصة بالموضوع نفسهُ في هذه السورة أو سواها.

خامساً: لزوم أن يكون البحث عن المضامين الموضوعية للقرآن الكريم، ملتزماً مدخل الصدق المتمثل هذهِ المرة، بأن لا يصار الى إسقاط مفاهيم ومضامين غير قرآنية على الموضوعات القرآنية.

سادساً: ابراز أهمية الوحدة العضوية والوحدة الموضوعية في إظهار وجوه الاعجاز القرآني.

قائمة المصادر والمراجع الأولية

١. القرآن الكريم
٢. أحمد عثمان مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتهما بالتفسير الشفاهي.
٣. أبو اسحاق الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة.
٤. برهان الدين البقاعي ، مصادر النظر بالإشراف على مقاصد السور.
٥. جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، الإتقان في علوم القرآن.
٦. الزركشي، البرهان في علوم القرآن.
٧. زياد الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي.
٨. فهد الرومي ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير.
٩. مصطفى مسلم ، مدخل إلى التفسير الموضوعي.
١٠. صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.
١١. محمد عبد الله دراز ، المدخل الى القرآن الكريم.
١٢. محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية.
١٣. الفخر الرازي ، ت ٦٠٦ هـ ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب.
١٤. أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة.
١٥. محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

المواقع الإلكترونية

١- د. عبد الحميد غانم، مجموعة مقالات على الانترنت على الموقع

www.Islam org

الهوامش

---

(١) ينظر : التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص٦٦.

(٢) مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي : أ.د أحمد عثمان، ص١٨-٢٠.

(٣) ينظر : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، محمد محمود مجازى : ٣٢ .

(٤) ينظر : المعجم الوسيط ، حجم اللغة العربية : ٢ : ٢٨.

(٥) ينظر: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، دراسة نظرية تطبيقية

(٦) الموافقات، ابو اسحاق الشاطبي : ٣: ٤١٥.

(٧) مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم : ص٢٨.

(٨) ينظر : مجموعة مقالات على الانترنت ، د. عبد الحميد غانم ، ٢٠٠٥م على الموقع .www.islam.org

(٩) النساء : ٨٠

(١٠) ينظر : الوحدة الموضوعية ، فوزي عبد المطلب : ص٥.

(١١) مصادر النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي : ١٤٢:١

(١٢) المصدر نفسه : ١٤٩.

(١٣) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فواز أحمد: ص٦٩٧.

(١٤) ينظر: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، مقال (شبكة الأنترنت).

(١٥) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ١ : ٧١، ٧٢.

(١٦) التفسير الموضوعي : التأصيل والتمثيل : ١١٦.

(١٧) ينظر: المصدر نفسهُ: ١١٧.

(١٨) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، د. فهد الرومي : ٢٢٥.

(١٩) ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي : ٢٤ ٢٠

(٢٠) المصدر نفسه، ص٢٦.

(٢١) منهجية البحث في التفسير الموضوعي، د. زياد الدغامين : ١٥٠

(٢٢) المدخل الى القرآن الكريم ، د. محمد عبد الله دراز : ١٢٢.

[٢٣] ينظر : المصدر نفسهُ: ١٠٢٣ .

[٢٤] سورة الممتحنة: الآية:

[٢٥] سورة الممتحنة: الآية:

[٢٦] سورة الحشر، الآية:

[٢٧] سورة الحشر، الآية:

[٢٨] سورة المؤمنون، الآية:

[٢٩] سورة المؤمنون، الآية:

[٣٠] سورة فصلت، الآية : ٤٤

[٣١] سورة فصلت، الآية : ٥

[٣٢] التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي ت ٦٠٦هـ، م١٤: ج: ٢٧: ١٣٥.

[٣٣] المرافقات في أصول الشريعة، ابو اسحاق الشاطبي ، ٣ : ٤١٤: ٤١٥.

[٣٤] سورة الحجر، الآية: ٩١.

[٣٥] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح الخالدي، ص٦٠ وما بعدها.

[٣٦] سورة الانفال : الآية: ٣٣.

[٣٧] سورة الانفال : الآية: ٣٣.

[٣٨] سورة هود : الآية: ٨٤.

[٣٩] سورة المطففين : الآية: (١-٢).

[٤٠] النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، ص١٥٥.

[٤١] الإمتاع والمؤانسة، ابو حيان التوحيدي: ١١/٣.

[٤٢] ينظر: سورة الواقعة، ٥٧-٦٢.

[٤٣] ينظر: سورة الواقعة، ٦٣-٦٤.

[٤٤] ينظر: سورة الواقعة، ٦٨-٧٠.

[٤٥] ينظر: سورة الواقعة، ٧١-٧٣.

[٤٦] ينظر: سورة الواقعة، ٨٣-٨٧.

[٤٧] سورة الواقعة، الآية : ٨٨-٩٤